باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة عظيمة بفضائلها

هي الدوقة اليصابات اوف بافاريا او ملكة البلجيك التي ذاعت مآثرها في الخافقين وتحدث الناس بفضائلها في كل بلاد. انشأت احدى الجرائد الانكليزية مقالة شائقة عنها فرأيت ان اعربها للقراء الكرام ولاسيما السيدات والفتيات اللواتي لا يسأمن بذكرتها بالخير كلما ذكرت هذه الحرب واهوالها

لما بلغت الدوقة اليصابات السن التي يبدأ فيها الصغار بالدرس انهمها اساتذتها ومهذباتها انها اذا انصبت على الدرس واحرزت من العلم قسطاً وافراً أضافت مجداً الى مجد بيتها التاريخي القديم البيت المالك في بافاريا ومن اعرق البيوت في الحسب والنسب

جاهدت اليصابات في ذلك الجهاد الحسن حتى لقد كانت تقضي ساعات لهوها وفراغها في الدرس والمطالعة فاظهرت ذكاء مفرطاً ومقدرة فائقة وكادت تفقد صحتها من شدة انكبابها على تحصيل العلوم فضربت منها بسهم وافر. وهي اليوم اكثر اميرات اوربا وملكاتها تضلعاً من العلم والفلسفة وقد نالت شهادة دكتور في الطب

ولما كانت في العشرين من عمرها صحت عزيمتها ان لا تتزوج فكانت تقول في بالها انني لم اتعب ذلك التعب الكثير في تحصيل العلم الا لاخدم بلادي وابذل حياتي في رفع شأنها واعلاء قدرها واجراء ما استطيع من الاصلاح فيها. كانت تفكر في ذلك كله وتتدأب في اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل فشرعت تنشئ عدة طرق متسعة ومتنزهات جميلة تضع رسومها بيدها على اجمل مثال

وبعد ما نالت الشهادة الطبية اخذت في بناء عدة مستشفيات اكثرها لفقراء الامة وكلما اتمت بناء منها اعدت فيه جميع لوازمه من اسرة وعدد جراحية الى غير ذلك من احدث ما استنبطته العقول. وكانت تعتقد ان الدواء والغذاء وحدهما لا يعجلان في شفاء المريض

فيجب ان يظل منشرح الصدر قرير العين كأن يُقرأ على مسمعهِ ما يسرهُ ويعزف امامهُ بآلات الطرب والغناء لكيلا يتطرق الضجر والسأم اليه بانتظارهِ يوم شفائهِ . وكانت تجد من نفسها البعاثاً الى اتمام ما تفكر فيهِ لنفع امتها

كان يخيل اليها ان والدتها ستكون اول مساعد لها على اتمام ما عزمت عليهِ وهو ان تظل عزباء تخدم بلادها فصارى جهدها ولكن والدتها انتهرتها يوماً وقالت لها لقد حان الاوان يا ابنتي لان تتزوجي وتصيري ربة بيت وقد اخترت لك اجمل امير في اوربا وارضاهم خلقاً واحسنهم تهذيباً وتثقيفاً . فنظرت الى والدتها والحيرة تملوها والبهتة آخذة منها وقالت لها وما انتفاع بلادي اذاً من عملي وجهادي في سبيل الحصول على العلم . أريد ان تكون لي شهرة واسمة وان تحدث امتي عن خدم جليلة اقوم بها لخيرها واسعادها . فابتسمت امها قائلة وما يضيرك لو تزوجت . انك تقدرين متى كنت الى جانب قرينك ان تنفذي ارادتك وتحققي رغبتك بيسرة وابتهاج . متى كنت الى جانب البرنس البرت اوف ثلندرس الخالي وملك البلجيك العتيد صرتما يداً واحدة عاملة لخير بلادهِ ونفعها وخدمة بني الانسان . وانك تصيرين ملكة تأمرين بالنافع وتنهين عن الضار

فمن ذلك الحين احبت الدولة اليصابات الملك البرت وتعاهدا على ان يدأبا في خدمة الامة البلجيكية و يجوا سمعة عم الملك غير اللائقة بالملوك . وكانت اليصابات مملوءة بالشجاعة كما ان قلبها مملوء بالرأفة والحنان والعواطف الشريفة

***

تزوجت بامير لم يكن الحب وحدهُ الرابطة الاولى في اقترانها بهِ وانما هناك رابطة اشد وافوى وتلك الرابطة هي تساعدها على اسعاد الامة البلجيكية وقد رزقا ابنة وابنين وقامت الملكة اليصابات على تربيتهم وتهذيبهم وانها لتفتخر في مجالس العظماء والعظيمات بانها قامت بالواجب عليها لابنائها فكانت لهم نعم المعلمة

ومن المزايا التي تذكر بها انها موسيقية من الطبقة الاولى واحب آلات الطرب اليها الكنبجا وقد علمت ابنها الاكبر دوق اوف برابنت وابنها الثاني العزف عليها وابنتها الضرب على البيانو

***

نشبت الحرب الاوربية الحالية وكان مركز زوجها الملك في قلب جيشهِ فقالت لهُ

مكانك اني الى جانبك حيثما تكُنْ أكُنْ وان اصابك مكروه فانا فداؤك ولا ارید ان احيا يومًا دون ان اراك . كذلك يظل الفرقدان

قال الملك قد يتفق احيانًا انني اقف في الخنادق عدة ساعات غائصًا في الوحل والماء . قالت ذلك ما ارغب فيه فاقوم بحق الخدمة لبلادي

سارت الملكة والملك بعدما خبأت جواهرها الثمينة ولم تبقِ معها الاَّ حلية لا تفارقها حلية تضعها فوق قلبها معلقة بسلسلة ذهبية وفيها قلب ذهبي مرصع بالحجارة الكريمة وقد قلدها إياها زوجها الملك يوم تعاهدا على الحب ووعدته ذلك الوعد الصادق بان تقف عمرها على خدمة بلادها الجديدة

ان كثيرين من الملوك والملكات اودعوا جواهرهم البنوك في احوال حرجة فعمل الملكة اليصابات لم يكن عملاً مستغربًا لاسيما وانها كانت في احرج المواقف واصعبها ولم تظهر علامات التأثر على وجهها لانها كانت شجاعة كريمة الاخلاق مخلصة لزوجها فلم تطق على فراقه اصطباراً لئلاَّ تزيد حزنهُ وكآبتهُ حزنًا وكآبة . ولقد جعلت هذه الملكة الصالحة رعيتها تحبها حبًّا جمًّا بحنانها ورأفتها وحميد صفاتها التي اقلُّ ما يقال فيها انها ملكة الصفات الحميدة

وكان اولادها قبل الحرب يتمون علومهم في انكلترا وكانت هي تزورهم وتدخل غرفة الدرس وتشارك اساتذتهم في تعليمهم . ولما كانت هي نفسها مجتهدة وناجحة ايام كانت تدرس وتتعلم عرفت كيف تبث فيهم الرغبة في الدرس وتحصيل العلم

فالملكة اليصابات من اللواتي استنرن بنور العلم والعرفان شديدة الكره للفخفخة والمباهاة الفارغة . كانت تزور الفقراء والمرضى بنفسها وتكتب في دفتر معها ما تراهُ لازمًا لهم ثم ترسل اليهم حاجاتهم بعد عودتها الى قصرها

ولم تفعل ملكة ما فعلتهُ هذه الملكة الشريفة العواطف فقد اشرفت على ساحة الحرب ورأت رجالها الشجعان يقتلون بقنابل الالمان وشهدت ايضًا ويلات الحرب ومصائبها . وكانت تصدر الاوامر تباعًا بتخفيف آلام الجرحى وتفعل من الخير ما لم تفعلهُ ملكة سواها

رحمه صروف

الدفتيريا وعلاجها

كثير من الامراض القصيرة المدة السريعة السير كالجدري والدفتيريا والكولرا يتوقف شفاؤهُ على سرعة تشخيصهِ ومعالجتهِ . وكلما اسرع التشخيص والعلاج اسرع الشفاء . كتب الينا بعضهم يقول :

« امسينا يوم الاثنين الثالث من ابريل وابنة لي في العاشرة من سنها تشكو بعض الم في احدى لوزتيها وبقيت قبل ذلك ببضعة ايام تشكو انحطاطاً في قواها حتى اصفرَّ وجهها ولكن ذلك لم يمنعها المواظبة على الذهاب الى المدرسة . وفي اوائل الليل احتلمها حمّى خفيفة لازمتها طول الليل . وفي الصباح كانت الحمّى لا تزال عليها فتحصت حلقها فحصاً سطحيًّا فلم ارَ شيئاً ولا اشتبهت في شيء ولكن البنت ما فتئت تقول منذ شعرت بالالم في احدى اللوزتين اخاف ان اكون مصابة بالدفتيريا

ومن حسن حظها ان زارتنا الساعة ١١ قبل الظهر خالتها وهي ممرضة وكنت انا غائباً عن المنزل ففحصتها فرأت في مؤخر حلقها الغشاء الكاذب الرمادي اللون او اللؤلؤي كما يقول الاطباء وهو من اهمّ اعراض الدفتيريا ولكنهُ قد يكون من اعراض بعض آفات الحنجرة ايضاً . فحكت بان البنت مصابة بالدفتيريا فهبت مسرعة تفتش على طبيب تستعير حقنة الدفتيريا منهُ وبعد تعب كثير وفقت الى مطلوبها ومرّت باجزاخانة فاشترت منها جرعتين فحقنت المصابة بواحدة ثم بالثانية بعد نصف ساعة

وبعد الظهر دعونا الطبيب فقال انهُ لا يستطيع البت في هل المرض دفتيريا امْ لا فارسل شيئاً من اللعاب الى المعمل البكتريولوجي حسب الطريقة المتبعة وفي خلال مجيء الجواب حقن سائر اهل البيت تحوطاً وفي جملتهم انا فلم يشعر احد من المحقونين باقل ازعاج ولا بشيء من الحمى وكان بينهم طفلة عمرها ١٠ اشهر وبنت عمرها سنتان وكسور . على انهُ ظهر على جلد المصابة وبعض المحقونين طفح بعد الحقن بعشرة ايام فاكثر

وفي ظهر اليوم التالي (الثلاثاء) جاء الجواب بانهم وجدوا مكروب الدفتيريا في اللعاب فقطعت جهيزة قول كل خطيب . اما المريضة فارتفعت حمّاها مساء حتى بلغت ٤٠° ٥ وبقيت كذلك معظم الليل وفي صباح الاربعاء هبطت الى ٣٨° ٥ . وبعد الظهر الى ٣٨ . وما زالت تهبط حتى كانت طبيعية صباح الخميس . ولم تشكُ في اثناء ذلك كلهِ شيئاً سوى اشتداد

الحمى مساء الاثنين حتى كانت لا تطيق فتح عينيها ولكنها منذ صباح الثلاثاء كانت حالتها طبيعية فيما سوى ارتفاع الحمى قليلاً . ومن ظهر الخميس لم تطق البقاء في سريرها وكانت حركتها خارجة حركة من لم يصب بداء يعدّ اشدّ الادواء فتكاً بالصغار وعاد اليها لونها كأنها لم تصب بالحمى القنية وكانت تطلب الاكل كل ساعتين . ولولا الحاح الطبيب في ان تلازم سريرها او غرفتها على القليل مدة ما لعادت الى سابق عادتها من اللعب والمرح

فهذه الحادثة تبين لنا فضل الاسراع في تشخيص الداء ومعالجته . وقد هال الممرضة منظر حلق الابنة حينما فحصتها وصاحت صيحة الهلع قائلة ان الاصابة شديدة الخطر فاوقعت الرعب في قلب الام بوجه خاص وهذا ما ربما تؤاخذ به ولكن عذرها كون الابنة ابنة اختها فلم تتمالك عن فعل ما فعلت

قابل سلوك هذه الممرضة سلوك بعض الاطباء الذين اذا رأوا حادثة مثل هذه اجلوها فاشتدّ الداء حتى يتعذر الشفاء . « وقبلما يأتي الترياق من العراق يكون القليل فارق » كما يقول المثل . انتهى

المقتطف — يدلّ الاحصاء على ان متوسط وفيات الدفتيريا هبط بعد اكتشاف المصل سنة ١٨٩٤ من نحو ٣٠ في المئة الى اقل من ١٥ في المئة . وعندنا انهُ اذا امكن تشخيص كل حادثة والشروع في معالجتها بعد ٤٨ ساعة من بدء الاصابة بها على الكثير هبط متوسط الوفيات الى اقل مما تقدم . ولكن يقال من جهة اخرى ان من الاصابات ما يكون خبيثاً شديد الوطأة بادئ بدئه فلا يجمع فيه علاج ولا تنفع وقاية غير وقاية الله على انهُ يحسن تلقيح كل صغير يشعر بالم في حلقهِ حالاً فان التلقيح لا يضرّ ان لم يفد . كذلك يحسن حقن افراد العائلة التي يصاب احدها بالدفتيريا تحوطاً وان تكن فائدة الحقن المتقي لم تثبت ثبوتاً قاطعاً . اما ما ثبت ثبوتاً قاطعاً فهو فائدة الحقن الشفائي . والدفتيريا تختلف من هذا النظر بعض الامراض التي تعالج بالمصل كالجدري فان فائدة مصل الجدري متقية فقط اي ان التطعيم في الجدري يفيد قبل الاصابة لا بعدها على خلاف الدفتيريا . ولكن كثيرين من الاطباء يعتقدون بفائدة الحقن المتقي فلا بأس بهِ لانهُ ان لم يفد فلا يضرّ كما قلنا ولان ثمن الحقنة لا يتجاوز في هذه الايام بضعة عشر غرشاً

فالاسراع في المعالجة لازم كلّ اللزوم . وقد دلّ كثير من الحوادث على ان التأخر في الحقن بالمصل اكثر من يومين بعد ظهور المرض افضى الى موت المصاب